سورة يونس

obeikandl.com

﴿سورة يونس﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

خلق السموات والأرض فى ستة أيام حجة على أهل الأسباب لكونهم فى عالم الشهادة ، وهذه الآية لا تدل على انتهاء قدرته فى الصنع، فإنه سبحانه وتعالى عما يشركون يقيم القيامة بما فيها بصيحة واحدة لحظية يقول تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾

وعلم التدبير لا يصلح إلا لعالم الشهادة، ولا تصلح القدرة المطلقة هاهنا فى هذا العالم ــ أعنى عالم الشهادة ــ فإن محاسبة الخلق وعلم الثواب والعقاب مرتبط بعالم التدبير، وعالم التدبير مخالف (لكن) وهى القدرة اللحظية المذكورة فى آخر سورة يس: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾.

فإنه سبحانه قادر على أن ينبت الزرع ثم يخرج ويثمر فى لحظة، وكذلك قادر على أن يخرج الجنين من بطن أمه ثم يصبح شيخاً فى لحظة، ولكن هذه القدرة اللحظية لا تريدها الربوبية ها هنا فى دار التكليف، حتى تتم كلمة الله وتحق على

خلقه من ثواب وعقاب، والثواب والعقاب مرتبط بعالم التدبير والتأنى التمهل، والتأنى والتمهل من عناصر الاختبار والامتحان، وهو نهاية ما أراده الله من خلقه كما قال وأراد فى علمه القديم، فإنه خلق خلقاً للنار وخلقاً للجنة، ولذا كانت هذه الدار دار امتحان واختبار، وحذرنا الله منها، فهذا هو خلاصة قوله فى هذه السورة الشريفة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ فهو جل شأنه تكلم عن علم التدبير بعد أن سرد أنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام فربط بينهما .

﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

فتكلم عن علم التدبير أن له بداية وإعادة ــ أى نهاية ــ بخلاف القدرة اللحظية فلا يوجد فيها الطرفان البداية والإعادة، ثم ذكر أن الغرض من البدأ والعود هو علم الثواب والعقاب لطائفتين متناقضتين قدر عليهما ما أراده الحق فى علمه الأول.

﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾

أعلمنا هاهنا أن التفكر هو من أصول التقوى والنبوة والولاية، وقد بدأ به محمد ﷺ نبوته فى الغار، فكان يتعبد الليالى ذوات العدد، كما حكت عنه ذلك أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

أى لم يكن فى قلبهم رجاء للقاء الله تعالى، لكونهم اطمأنوا إلى ما هو زائل وفانٍ، وهم أصحاب الحجب الظلمانية وتعشق الشهوات، والذى رغبهم فى هذا طول أملهم، والذى أعطاهم طول الأمل هو الغرور ـ وهو إبليس ـ ثم نشأت النفس وتطبعت وعشقت هذه الحياة الزائفة، حتى يبهتها هازم اللذات ومفرق الجماعات.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾

فإيمانهم هو مطيتهم إلى الآخرة، ولولاه لكانوا من أهل سقر، وقد فاق الصديق الأكبر أبو بكر ﷺ الأمة بإيمانه، كما ورد فى الحديث الشريف، وكما أخبر ربنا عز وجل عن إبراهيم الخليل عليه السلام فقال:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

فإبراهيم وأبو بكر بسبب الثقل الإيمانى عدلوا الأمة التى عاصروها عند الله، فتسبيحة أحدهم كتسبيح مجموع الأمة.

وقد تكلمنا عن علم الإيمان فى كتابنا المسمى " سر إيمان الحق بنفسه ".

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ

أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾

وذلك لقصور نظرهم إلى ما يصلح أحوالهم، فلو سلموا التسليم الكامل لله عز وجل لرأوا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان .

فالكامل من فوض أمره كله لله، بدون تمييز لما عليه من أحوال، فلا يفرق بين خير وشر .

بل يرى الخير والشر ينبع من عين واحدة .

وقد كان أبو يزيد ﷺ من أقطاب هذا المقام قيل له: كيف أصبحت ؟ فقال: لاصباح ولا مساء، فهو قد وصل إلى مقام الاستواء، وأصبح فى مقام لسان الميزان، وأصبح لسان حاله يقول: قل الله ثم ذرهم، فهو يرد كل ما يرد عليه ويذره، ويبقى مع الله فانيا فيه باقياً معه، حتى لا ينشغل بصباح أو مساء أو حر أو برد أو شبع أو جوع ولذلك كان مقام الرضا من أصعب المقامات عند العارفين.

وقد كان سيد الراضين عن الله أبو القاسم ﷺ هو خير من أتقن مقام الرضا عن الله عز وجل .

وأحواله تترجم عنه ﷺ، وكفى أنه اختار شرف الفقر على عز الملك ثم قال ((**اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين**)).

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

أى آدم وحواء وما أنتجوه من أبناء مسلمين، ثم أرادت لهم المشيئة الاختلاف ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

وهذه طبيعة الآدمية من صفة الغدر ونسيان الجميل، وإعداد المكر لأجل عدم الاعتراف بالمنة الإلهية على الطينة الآدمية، فتنغمس فى وديان الجحود، ويقال لهذا الآدمى أيها الكنود، فتتجرأ الآدمية على أن تمكر بآيات الله فتجردها من تفضلها عليها، يقول عز من قائل فى الحديث القدسي:

((أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر سواى)).

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

هذا فى حق عشاقها، وشياطين طلابها، وأما السادة العارفون بالله تعالى فقد طلقوها، ومن طريقهم أزاحوها، يقول شيخ القوم

أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه: (**يا دنيا غرى غيرى طلقتك ثلاثاً طلقتك ثلاثاً طلقتك ثلاثاً**).

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴿٢٦﴾ ﴾

هم من أعطوا أنفسهم وقدموا لها الحسني: أى أحسن ما يقدم بين الخلق من إتقان الأعمال الظاهرية والقلبية، حتى أخرجهم ذلك الحسن إلى زيادة إلهية ميزهم بها الحق تعالى عن الخلق، وذلك من اطلاعهم على عالم التجليات الكشفية والزيادة المعرفية، فهم المميزون ممن استثناهم الحق من بين طيات الخلق.

﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

أى لا يتعبهم ــ وهو الإرهاق ــ أى التقتير وهو التضييق على هياكلهم بالنور المخرج لهم من دائرة الهداية الربانية إلى ذل المعصية والهوان، فيقعوا فى بحار الحجب الظلمانية والشهوات النفسية .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

فهؤلاء تسلط الحق عليهم كما تسلطوا هم عليه وحاربوه بالعداوة، فألبسهم ذل الحجاب وطردهم عن الباب فصفتهم: كأنما أغشيت أى غطيت وجوههم بالقطع الظلمانية الحالكة من

الليل، وفيه إشارة إلى الظلام التام المتلبس بهياكلهم، والذى يحجبهم من الوصول إلى الله ويطردهم عن حضرته.

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

فالكل انتهى إلى ما عمل، ووجده أمامه وكما قيل:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾.

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

فهؤلاء عبدة الظنون والأوهام، لانتزاع الإيمان من قلوبهم

فمثلاً فى الهند قوم يعبدون البقر، فسول لهم ظنهم أنها إله لحاجة رأوها فى البقرة ظنوا أنها بها إله .

وهناك من يعبد النار، وذلك لظنه أن قوتها الحارقة أوصلتها إلى مرتبة الألوهية، وقد سولت ظنون اليونان لهم أن لكل فعل فى حياتهم إلهاً، فهناك إله الحب وهناك إله الحرب وهناك إله الشر، وكذلك كان الفراعنة مثلهم فى تعديد الآلهة.

وقد ظن النصارى لأجل علة فى المسيح أنه أصبح بها إلهاً، وهى إحياؤه للموتى وكذلك ولادته بدون أب .

فهؤلاء أنفقوا أعمالهم سدى، وضيعوا حياتهم هباءً منثوراً، لكونهم لو قاسوا هذه الحجة التى ألهوا بها المسيح بولادة حواء

من آدم لكانت أمنا حواء أحق بالألوهية من عيسى لكونها الأسبق والأحق منه بالربوبية.

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

أيها المنكرون الجاهلون، والذين فى بحار ظلماتهم غارقون: ما كانت الأمية المجردة لتنتج وحدها عطر هذا الوحى وشذاه، وتنشر عبيره على أهل الأرض ونداه .

واعلم أن الناظر المتحقق والمدقق يعجب كيف يظن أهل الجمود والجحود بعد أن اطلعوا على هذا الكتاب المبين، والفرقان الذى هو ملقى عن رب العالمين، وما أنتجه من آيات ومعجزات، وتحدث عن آيات ستقع فى المستقبل، وتنبأ غيب كله أصاب ولم يخطأ منه حرف واحد، كيف أن هذا كله تنتجه الأمية المجردة إلا أن تكون مقرونة بالنبوة والتأييد الإلهى لها ؟.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

أى أن أنوار النبوة لا تمنع أقدار الربوبية، ولا تمحو ما قضته الألوهية، فماذا يفيد استماعهم إليك ونظرهم إلى شخصك، وقد حكم عليهم الحق تعالى بالصمم والعمى ؟ .

فهم لم يستفيدوا من النظر إلى شخصه الكريم ﷺ، فيلتحقوا برتبة الصحابى لأجل تلك النظرة .

وهكذا اقتضت الحكمة الإلهية أنه ليس كل من نظر إلى محمد ﷺ أصبح من الصحابة، بل ربما جلبت عليه تلك النظر الارتداد والضلال.

وذلك لكون الأنبياء صلوات الله عليهم هم المرآة العاكسة لنتائج الحضرة الإلهية، فجعلهم الله سبباً فى هداية قوم وسبباً فى إضلال آخرين.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

تحقيق لحقيقة الطينة والتى لن تتغير.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

وذلك لكونهم أضاعوا أعمارهم وأنفقوها فى عدم التعرف على الله، ومن كان هكذا خارجاً عن المعرفة وحدودها فإن عمره رخيص، ولا يحس بعمره إلا من تعرف على الله وأطاعه.

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ

﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

هو من باب التأدب مع الله والتفويض التام له، وإن رأى منزلته ومقامه أمامه فى الجنة .

وكان هذا مقام السيد الكامل والإمام العامل الذى رجح إيمانه إيمان الأمه، فإنه قال ﷺ: " **لو كانت إحدى قدماى فى الجنة والأخرى خارجها لما أمنت مكر الله** " .

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

أى أيها العارفون لا تفرحوا كأبناء الدنيا بما ترونه من الملموس والمحسوس بل افرحوا بما هو عين ــ أى الفضل والرحمة ــ فإن المحسوس هو الزائل، والعينى هو الباقى، فلا تفرحوا بالصور الحسية المكربة لكونها خداعاً زائلاً.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴿٦١﴾ ﴾

أى وما تكون فى موقف إلهى مع الله خاص بك، فيفنيك فينا ويبقيك معنا، إلا شاهدناك ولمحناك وكنا معك نرقبك .

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

هذه الآية دالة على أن هناك ما هو أصغر من الذرة التى اكتشفها علماء الفيزياء، وأصغر من كل محتوياتها كالنيترون والبروتون والنواة .

فمثقال الذرة تافه جداً، فأخبرنا الحق تعالى أنه مطلع على ما هو أصغر من مثقال الذرة، فعلمنا أن الكون منتاهٍ إلى عوالم في غاية الصغر والدقة، وهى كالعدد بلا انتهاء، كذلك التناهى في المخلوقات بلا انتهاء إلى أن تنتهى إلى من إليه المنتهى، وإلى أن تنتهى إلى الآخر وهو الله، كما بدأنا أول خلق نعيده، فالعدد الأول هو الله ويظل يتناهى إلى أن يلتقى بطرفي الدائرة وتظل الدائرة تدور بلا انتهاء.

ولما أرادت القدرة أن تخبرنا بهذا العالم اخترع من اخترع الميكروسكوب الإلكترونى، لأجل كشف هذا العالم المتناهى الدقة، ولكن والله هيهات أن يصلوا إلى نهاية الدقة وغايتها، وإلا كشفوا سر الربوبية، وعلى هذا السر فاكتم.

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

إعلام لهم بالأمان من مكر الله .

ولكن هيهات هيهات لعارف اطلع على ملكوت الله وجبروته وقهره أن يأمن مكر الله ن ويركن إلى مقام ((**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**)).

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

برؤية ما لم يطلع عليه غيرهم، ولو اطلع الباقون من أهل الحجاب على ما اطلع عليه من لهم البشرى لقاتلوهم بالسيوف على ما أعطاهم الله من منته الباطنية وتجلياته السبوحية .

فغيرهم الفقراء وهم الأغنياء.

وغيرهم الخدام وهم الملوك .

وغيرهم العبيد وهم الأحراء .

عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبدهم أضحى له الكون خادماً

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾

لاستقبال واردات الحق.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

وقد ألف جلال الدين الدوانى رسالة فى إثبات إيمان فرعون وهى عندى، وفيها كلام للشيخ الأكبر .

والصحيح أن فرعون هو أحد أركان جهنم كأبى جهل وأبى لهب، وأن إيمانه صحيح، لكنه غير مقبول لكونه جاء متأخراً، حين لا ينفع نفساً إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل.

﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾

للحق سبحانه أن يخاطب أحبابه كيف يشاء، وهم عليهم القبول على العين والرأس، وحاشاه ﷺ من أن يشك، وهو المعصوم من دقائق الهفوات، فضلاً عن شئ كالشك وغيره.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

وهى نية أى بنى يبعثه الله أن يـؤمن بـه أهـل زمانـه كلهـم، ولكن إرادة الله لها شأن آخر.

obeikandl.com